الدّلالات السّيكولوجية للسّلوك الإنساني من منظور إيريك فروم

The psychological implications of human behavior from the perspective of Erich Fromm

حكيمة بن عامر[1]*، عبد الغاني عليوة [2]

[1] جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2 (الجزائر)، ha.benameur@univ-setif2.dz

[2] جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2(الجزائر)، a.alioua@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/19 تاريخ القبول: 2024/04/26 تاريخ النشر: 2024/06/13

ملخص:

يحاول البحث الوقوف على أبرز الآليات السيكولوجية المصاحبة للديناميكية الاجتماعية من منظور الفيلسوف الألماني ايريك فروم، من خلال استجلاء وجود نمطين متناقضين ومتلازمين لتأثير البنية الاجتماعية الرأسمالية على سلوك الإنسان المعاصر في السياق الحضاري الذي يشكله وينتمي إليه، كعنصر وظيفي يعتمد على العقل والحرّية كما يقتضيه نسق الحداثة بشكل عام.

يكمن الإشكال في أنّ ما قامت له النزعة العقلانية الرأسمالية هو ما حال دون تحقيق الإنسان لذاته الفردية، إذ لم يعد في ظل التطور التكنولوجي مستقلا وفاعلا، بل مستلبا وعاجزا؛ إنّ فهم هذا الانعطاف يقتضي حسب فروم مراجعة مفاهيم الحرّية والعقلانية وتحليل صيغ الخوف والاغتراب المنعكسة في سلوك الأنسان المعاصر.

كلمات مفتاحية: *الآليات السيكولوجية، الحرية، الاغتراب، السلوك الإنساني المعاصر.*

Abstract:

The research tries to identify the most prominent psychological mechanisms associated with social dynamism from the perspective of the German philosopher Eric Fromm, by exploring the existence of two contradictory and inseparable patterns of the impact of the capitalist social structure on the behavior of contemporary man in the civilized context to which he forms and belongs, as a functional element that depends on freedom and freedom as required by the pattern of modernity in general.

The problem lies in the fact that what capitalist rationalism has established is what prevented man from realizing his individual self, as he is no longer independent and effective under technological development, but rather alienated and powerless; understanding this turn requires, according to Fromm, a review of the concepts of freedom and rationality and an analysis of the formulas of fear and alienation reflected in the behavior of contemporary man.

* المؤلف المرسل: حكيمة بن عامر ، الإيميل : ha.benameur@univ-setif2.dz

***Keywords**: Psychological mechanisms, freedom, alienation, contemporary human behavior.*

– مقدمة:

تنطلق فلسفة ايريك فروم من تحليلاته السيكولوجية لمجتمع ما بعد العصور الوسطى، على اعتبار هذه الحقبة الزّمنية هي المنعطف الأهم في تاريخ مشكلات الإنسان المعاصر، لذا فإنّه يتّجه بدءا إلى رصد المختلِف والمتغيرات الأكثر حساسية وحسما في تحديد شكل المجتمع وصيغة الحياة البشرية بعدها، ما اعتبره مدخلا لفهم الحالة النفسية في المجتمع العصري عبر زاوية المبادئ والاتجاهات الأساسية التي تقوَّم عليها، بعد التمرّد على أساسيات المجتمع الوسيط، والمتمثلة أساسا في: **الفردانية**، حيث انتقل الإنسان من كونه فردا داخل نسق اجتماعي ثابت في المجتمع الإقطاعي ومرتبطا بأساسيات ثابتة فيه، إلى كونه مرتبط وبشكل عشوائي بطرق أخرى تتمثل في الرأي العام والعادات والتقاليد المغايرة تماما للروابط السابقة التي تحددت وفقها مكانته داخل المجتمع؛ **الديموقراطية السياسية**، فبعدما كان الإنسان فاقد كلياً لحق المشاركة في صنع القرارات التي تخص حياته في ظلّ الدولة الإقطاعية، أصبح له القدرة على تقرير كل ما يخص القضايا المهمة في المجتمع؛ كما لم يعد النشاط الاقتصادي يعتمد على النقابات، وإنّما أصبح نشاطا حرّا في مجتمع رأس المال الحرّ، والعامل الحرّ وتحت مسمّى **النّشاط الاقتصادي الفردي**؛ **التطور التكنولوجي والاعتماد الكلّي على الآلة**، فبالرغم من أنّ تطور جملة الاختراعات العلمية قد مكّن إلى حدّ ما من كبح جماح الطبيعة والسيطرة عليها، لكنّ هذا لم يعصم الإنسان أبدا من الوقوع فريسة بيد آلته التي طورها، لقد سيطر على الطبيعة لكنّ آلته سيطرت عليه بدورها، وأصبح أكثر خضوعا لها ولمنتجاتها التي صنعتها؛ **المقاربة العلمية**، هذه الأخيرة التي أصبحت بديلا عن العقائد الدينية القديمة، فبدلا من أن يلتزم الإنسان بالممارسة الدقيقة للمقاربة العلمية في كشف خفايا العالم وحقيقته، أصبح يغالي في آراءه ونتائجه التي توصل إليها، ولم يعد يرى نفسه مضطرا لفعل أي شيء بنفسه، لقد اتخذ من العلم دينا جديدا.

لم يُفضِ الانفصال عن مبادئ الإقطاع إلى التأسيس لبديل فعليّ يقوم مقامها على الأقل في الحفاظ على مكانة الإنسان ضمن الكيانات التي يتفاعل فيها، اجتماعية كانت أو سياسية أو اقتصادية، أو حتى ذاتية بالمقام الأول، إنّ كل ما أنتجه هذا الانفصال هو خلق

أشكال من التعدد في المرجع واللّامرجع، الاحتكام واللّا احتكام، الدّين واللّادين، وكل هذه الثنائيات حتى وإن غلب فيها التزامن في الحضور شكلا، فإنّه سرعان ما تماهى أحد طرفيها في الأخر ونفاه مضمونا، الأمر الذي ترتب عنه نوع من التداخل والالتباس، فعندما ألغي الاحتكام لمبادئ الإقطاع ولم تستبدل بشيء ثابت يحلّ محلها، أصبح رأس المال الحرّ محورا مقدسا تلتف حوله كل جوانب الحياة بأدق تفاصيلها لدى الناس، ما يعني أنّ المال غَدَا مرجعا ودينا، والحال كذلك لما تموضع العقل أو العلم محلّ المعتقد، والآلة أو التِّقنية محلّ الإنسان نفسه، وحتى عندما استبدل هذا الأخير القيود التقليدية بالحريّة في تقرير مصيره والتحكم في قضاياه، تنامت في المقابل أديان كالفاشية والستالينية وبعض الحركات المماثلة، لقد أدّى اختلاف المرجع كل مرّة إلى تعدد النتيجة، غير أنّها نتيجة رغم تعدد أشكالها مفرغة من القيمة الإنسانية، ومنها بات من الضرورة بحال الوقوف على مآلات هذا الاحتكام أو عدم الاحتكام، وطرح أسئلة الذّات والوجود، والبحث عن مكانة الإنسان وقيمته ودوره في تحديد وجوديته وفعاليته في الحياة، إنّ الحديث عن المبادئ التي قامت عليها الحداثة، العقلانية والحريّة والرأسمالية، ليس حديثا عن توفر إطار مرجعي من عدمه، بل عن نوعية المرتكز الذي يحدد قيمة الإنسان ويُبنى عليه سلوك الأفراد داخل المجتمع.

لقد حاولت النّزعة العقلانية الرأسمالية لإنسان الحداثة استنفاذ كل إمكانياته المادية والروحية في تفاعلاته المجتمعية، وفي سبيل الدفع به نحو القوة والسيادة على الطبيعة، وتنمية العقل الإنساني وتطوير التكنولوجيا والمنجز العلمي والمادي بشكل عام، لكن في الوضع الاجتماعي الجديد والمتغيرات السياسية والاقتصادية للمجتمع الرأسمالي، تبدو العلاقة بين الإنسان والكيان الذي ينتمي إليه ملتبسة بالقدر الذي لم تعد فيه قيمة الإنسان تظهر إلا في حدود دائرة الغايات المادية وقيم الكسب والمنافسة، على حساب علاقته بنفسه وقيمه الإنسانية، أي أن الحريّة التي اكتسبها الإنسان في المجتمع الرأسمالي المعاصر، هي التي جعلته يستخدم نفسه أداة لمقصد خارج ذاته، لقد جعلته مغتربا داخلها وبفعلها، وهو ما يرمز كذلك إلى وجود نمطين متناقضين ومتلازمين لتأثير البنية الاجتماعية الرأسمالية على الإنسان المعاصر، ما شكّل المسوّغ الرئيس لاهتمام فروم بدراسته الآليات السيكولوجية المصاحبة للديناميكية الاجتماعية، باعتباره أبرز مشكل سيكولوجي أفرزته متغيرات العصر، ويطرح الكثير

من الأسئلة حول مفاهيم الوجود والحريّة والإنسان، وعن معنى أن يصبح الإنسان أكثر استقلالا واعتمادا على النفس، ويكون في ذات الوقت أكثر عزلة ووحدة واغترابا، لكن السؤال الجوهري الذي نروم الإجابة عنه في هذه الدراسة هو كالتالي: **ما التَّفسيرات السَّيكولوجية- حسب ايريك فروم- للسُّلوكات الاجتماعية التي ترتبت عن تعاطي الإنسان المعاصر مع الوضع الجديد، وعكست نقيض الحريّة التي هي في الأساس هدفه المنشود من نزعته العقلانية المتمردة على كل صنوف الهيمنة؟**

إنّ ما نهدف إليه من خلال هذا العمل؛ تسليط الضوء على الآراء الفلسفية السيكولوجية التي قدمها ايريك فروم فيما يتعلق بتأثير الرأسمالية على حياة الإنسان، وما اختزنته من معاني، خاصة الاغتراب والحرية والخوف من هذه الأخيرة، وذلك من خلال محورين أساسيين هما، أولا: الوقوف على مناقشة فروم لمفهوم الاغتراب، استنادا على دلالة المفهوم في التراث الغربي وفي التحليل النفسي، ومن ثم استعماله كأساس لمعايرة الصحة النفسية للمجمع الرأسمالي، ثانيا: الوقوف على دلالة السلوك الإنساني استنادا على معنى الحرية بالنسبة للإنسان المعاصر، أما عن منهج الدراسة فقد اعتمدنا المنهج التحليلي لأنه المنهج الملائم لطبيعة الموضوع.

1.الاغتراب بوصفه انعكاس سيكولوجي عن النظام الرأسمالي

1.1. مفاهيم معادلة للاغتراب:

في فهمه للاغتراب يتوسل إيريك فروم بمفهوم أخر لطالما أشار إليه الأنبياء في الأديان الكبرى كاليهودية والمسيحية، وهو مفهوم "الوثنية" التي تعني أن يصنع الإنسان أشياء ثم يقوم بعبادتها، و"بدلا من أن يمارس ذاته كفرد خالق، فإنّه يكون في حالة تواصل مع ذاته، فقط، عبر عبادة الوثن"[1]، وهنا تكمن حقيقة الاغتراب، فالوثن يختزن قوى الإنسان الحياتية فيه هو كـ "شيء"، فتتحول ذات الإنسان إلى شيء، بينما الوثن الذي يفترض أنّه شيء من صنع يد الإنسان نفسه، يصبح ذا قيمة تفوق قيمة البشر، بل ويصبح معبوده الذي يقدسه ويخضع له، وفي هذا السياق يستدل فروم بعبارة من الفصل الرابع عشر من سفر نبوءة هوشع تقول" لا تخلصنا أشوريا (مملكة آشور)، ولن نمتطي الخيل، ولن نقول بعد ذلك لصنع أيدينا، أنت آلهتنا؛ إذ فيك يجد المحبة من لا أب له"[2]، وخلافا لما في الأديان الوحدانية القائمة على مبدأ "

لا محدودية الإنسان" لأنه خُلق على صورة الله الذي لا إمكانية لإدراكه أو تعريفه أو تشييئه، و لا يمكن اعتباره شيء لأنّ صفاته تتجاوز حدود الشيء والعقل معا، يعتبر الإنسان نفسه ضعيفا فيتعلق بالله ويضع فيه ثقة، ويمنحه جزءا من خصائصه، بينما " في الوثنية يركع ويخضع لصفة جزئية فيه، وهو لا يَخبُر نفسه بوصفه المركز الذي تشع منه أفعال الحب والعقل الحية، بل يصير شيئا، ويصير جاره شيئا، كما أنّ الأرباب أشياء"[3].

يعادل فروم بين الاغتراب كمفهوم كلّي و"الخطيئة" كمفهوم في الخطاب الديني، بما هي تخلٍ عن الذّات وتخلٍ عن الله داخل الذّات، لكنّه من ناحية أخرى لا يهدف بمقارنته بين الوثنية والوحدانية إلى تبرئة هذه الأخيرة من المعنى الاغترابي، بل على العكس تماما، الوحدانية حسب فروم تقتضي أن يكون الإنسان معدوما ولا يشعر بقدراته على الحب والعقل، ومن ثمة عليه أن يعود إلى الله ليستعيد صفاته التي وضعها هو في الله،" وبهذا المعنى فكل عبارة رضوخية هي فعل اغتراب ووثنية"[4]. يمتد هذا الحكم ليشمل مختلف أشكال الوثن، الإله، الكنيسة، الدولة، الطبقة، الجماعة، ..." فالوثنية تبدل موضوعاتها، حيث أنّها لم تعد مقتصرة فقط على تلك الأشكال التي كان للوثن فيها معنى دينيا فقط، إنّ الوثنية هي دائما، عبادة للشيء الذي يعطيه الإنسان قواه المبدعة، ويخضع له، بدلا من ممارسة ذاته في فعل مبدع"[5]، وهنا يضرب فروم مثالا عن نظرية الدولة عند جون جاك روسو، حيث يتنازل الفرد عن كافة حقوقه لصالح الدولة بوصفها الحاكمة، وكذلك في التجربة النازية في ألمانيا.

2.1. الاغتراب في الطّب النّفسي:

يجد الاغتراب مفهوما مطابقا آخر له من حيث التشكل والمعنى والتمظهر، وهو مفهوم الإسقاط[6]، في التحليل النفسي خاصة في مذهب فرويد، إذ تفيد التجارب السَّريرية عنده وحتى عند فروم بأنّ الإسقاط هو شكل تعبيري عن الاغتراب، والإنسان المغترب هو مريض عصابي، فقد إحساسه بذاته كمسبب وفاعل في تجاربه الحياتية، لذلك يعمد إلى تخيير موضوعه الذي يسقط عليه قدراته الإنسانية التي لم يعد يحس بامتلاكه إياها كالقوة والشجاعة والحب، من أجل التغلب على إحساسه بالخوف والعجز والفراغ الروحي، فمتى ما تعرف على تلك القدرات في موضوعه الذي أسقطها عليه، أحس بالأمان والحكمة ومختلف قدراته الإنسانية المفقودة. هكذا يشكل موضوع الإسقاط صورة الوثن بالنسبة للمغترب أو المصاب بمرض العصاب،

فإحساسه بذاته مرهون بالموضوع المسقط عليه، سواء كان الوالدين أو المحلل النفسي – بالنسبة للمريض النفسي -، أو السلطة السياسية، أو الدين والحياة المجتمعية، يقول فروم" إنّ الاغتراب بصفته مرضا للذات يمكن عدّه لُبّ المرض النفسي للإنسان الحديث حتى ولو كانت المسألة مسألة أشكال أقل تطرفا من ذهان"[7].

3.1. مفهوم الاغتراب كأداة لقراءة سيكولوجية المجتمع الصناعي المعاصر:

إنّ الحديث عن الاغتراب عند فروم ليس حديثاً عن مسألة تتعلق بالفرد أو الذّات الإنسانية في خضوعها لأنواع الوثنية والتشيؤ فحسب، بل عن كونه ظاهرة اجتماعية شاملة، تمثل المشكلة الأساسية لمرض الإنسان المعاصر،" لأنّ الاغتراب وصل إلى نقطة حيث يبلغ العالم الصناعي كله حدّ الجنون"[8]، والحالة حسب فروم تمتد جذورها في طريقة الإنتاج والنظام الرأسمالي الذي أنتج مجتمعا قائما على آليتين أساسيتين تحددان الملمح العام للمجتمع وتبرران سلوك أفراده، وهما الامتلاك والاستهلاك، يقول فروم:" فعندما لا يكون الإنسان الحديث مشغولا بالاستهلاك فإنّه يمارس التجارة"[9]، لهذا فإنّ طباعه لم تعد تحتكم لمنطق الإنسانية ولا حتى إلى التراث، وإنما تحتكم إلى منطق السوق، فتنبعث من المعطى المادي الاقتصادي لتعود إليه وفق تراتبية تلقائية تنتظم حول محور واحد هو المال، لكنّ إيجابية هذا الوضع ليس أكبر من سلبيته بالنظر للخطورة بالغة الأثر لمحورية المال، والتي تكمن أساسا في وظيفته الاغترابية سواء في طريقة كسبه أو في السلوك المصاحب لتوظيفه واستهلاكه. وهذا ما عبر عنه التوصيف البليغ الذي وضعه ماركس في مخطوطات1844م، " المال.. يحوّل القدرات الإنسانية والطبيعية إلى مجرد أفكار مجردة، ومن ثم إلى نقائص، ومن جهة أخرى فهو يحول النقائص الحقيقية والتخيلات؛ فالقدرات التي لا توجد إلا في تخيل الفرد تتحول إلى قدرات حقيقية... وهو يحوّل الإخلاص إلى رذيلة، والرذائل إلى فضيلة، والعبد إلى سيد، والسيد إلى عبد، والجهل إلى عقل، والعقل إلى جهل ... ومن يستطع أن يشتري البسالة فهو باسل ولو أنه جبان"[10]، فلا تهم طريقة الكسب مادام مجرد الامتلاك يبرر الوجود، ومادام معيار هذا الأخير يحدد حسب القيمة التداولية ورأس المال بدل القيمة الإنسانية؛ فإنّ ما حدث أثناء تجربة التطور المادي للغرب خاصة في انعطافها الآلي المتمركز حول المال والمقاولة، هو اختزال لكل أبعاد الإنسان الروحية والفكرية داخل معطى واحد يمتد نحو الخارج أكثر مما يتوجه نحو

جوهر الإنسان، وهنا يتخذ طابع الحضارة الغربية صورة أبعد ما تكون عن صورة الفردوس المتخيل والمنشود في المخيال الدّيني، لأن ما تطلع إليه الإنسان الغربي هو ما بإمكانه تحصيله هن طريق المال، بينما لا يمكن لهذا الأخير أن يحقق خلاص الإنسان كما كان يعتقد حينما تحرر من وضعه الثابت كفرد داخل بنية المجتمع الوسيط، وسعى لتشييد جنّته على أرض الواقع بدلا من انتظار بلوغها في عالم مفارق، يقول فروم" لو أردت أن أتخيل جنة المدينة العصرية وكيف سيتخيلها الإنسان المعاصر، فهي لم تعد تلك الجنّة المحمدية أو ما شابه، بل الجنّة المكونة من أجهزة لديكم المال الكافي لشرائها"[11]، وبالتالي فإنّ العودة بالذّاتية الإنسانية إلى نهايات الطاقة الشرائية المادية، يعني أنّ ذات الإنسان لم تعد مركز إرادته وأفعاله، لأنّ الإنسان هنا لا قيمة له إلا بما يملك من مال وأشياء ثمينة، أي أنّ معنى الحياة تجاوز عالم الإنسان الداخلي بمجرد ما أصبحت قيمته متأكدة خارج ذاته، لقد أصبحت "قيمة الإنسان تتأسس على إمكانية بيعه، وليس على قيمه الإنسانية: العقل، الحب، أو على قيمته الفنية، فقيمة حياته الذاتية موقوفة على عوامل خارجية: نجاحه وحكم الآخرين عليه، لهذا السبب فإنّه تابع للآخرين، ولا يمكنه أن يحس بالثقة في نفسه إلاّ إذا سلك سلوكا لائقا مع الآخرين، ولا يبتعد عن القطيع بأكثر من نصف متر"[12].

1. 4. دوائر الاغتراب في المجتمع الرأسمالي:

تكشف الوظيفة الاغترابية للمال عن تعدد دوائر الاغتراب داخل البنية الحضارية للمجتمع الحديث، وكذلك داخل البنية النفسية العميقة للإنسان، والمتخارجة في طريقة تعامله مع ذاته بدءا، ثم في سلوكاته أثناء تواصله مع عالمه الخارجي، إنّ الاغتراب ينتشر عبر ثقافة الاستهلاك الرأسمالية التي نصبت أوثانها المادية واتخذت بها منحا دينيا جديدا، ولعل أبرزها حسب فروم ما يلي:

- اغتراب عمليتي الكسب والاستهلاك: ويتجلى ذلك في كونهما لا تخلوان من المعنى الوثني، يقول فروم" فالإنتاج بحدّ ذاته هو واحد من الأخيولات العظيمة التي نعبدها، لقد أصبح هدفا في الحياة أن نعرف كيف تنمو الأشياء، لا الأشياء العضوية ولا الزهور، بل الآلات الأكبر والأعظم، المنتج الأفضل والسيارات الأسرع"[13].

- اغتراب العمل: يقول فروم: "بدلا من المفهوم التقليدي للعمل كمتعة، أو كواجب، هاتان السمتان لديننا المعاصر، بقدر ما هو موجود، هما عبادة للإنتاج وعبادة للاستهلاك، وكلاهما لا ينتميان إلى أيّ واقع ذي معنى في ضوء الوجود الإنساني"[14]، لقد انتفت قيمة العمل، وبالتالي انتماءه للحيز الإنساني، حينما جُرد من غاياته الإنسانية وأخذ معنا طوباويا أكثر، ودشن بذلك مجد الآلة والربح المادي مقابل تضاؤل قيمته كواجب أو كتحقيق لقدرات الإنسان وإمكاناته، أو حتى كوسيلة لتحقيق أهداف إنسانية في مقام أولى من الغايات المادية، فحينما صُرفت غايات العمل لغير الغايات الإنسانية الجوهرية، أصبح "العمل فعل عبادة على مذبح الآلة التي تمتلك في حدّ ذاتها قيمة ومعنى"[15]. ويمكن القول أنّ الإنسان سحق نفسه وقدّس الآلة، وألغى روح الإنسانية وقيم الحب والعطاء والتكافل، مقابل توطيد أوصال الأنانية والمصلحة والامتلاك، وحوّل نمط الحياة الإنسانية الواعية إلى تجمعات غير واعية، واغترب تماما عن ذاته. ومن وجهة نظر فروم، فإنّ الاغتراب هو" نمط من التجربة يعيش الإنسان فيها نفسه كشيء غريب ويمكن القول إنه قد أصبح غريباً عن نفسه، إنه لا يعود نفسه كمركز للعالم وكمحرك لأفعاله لكن أفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يطيعهم"[16].

- اغتراب اللغة: حيث أنّ اللغة المعتمدة في المجتمع الصناعي هي اللغة التجريدية، ولا يتعلق الأمر باللغة التي يجب أن يتعامل بها الإنسان في المجال الاقتصادي وفي عمليات قياس العمل وما إلى ذلك، وإنّما بتلك اللغة التي تفقد بها الأمور التي يجب أن تُعاش كتجربة شعورية عيانيتها، أو بتعبير فروم" لم نعد نستخدم اللغة في الوقت الحاضر بغاية التواصل فقط لا غير، بل أصبحت الكلمات وإلى حد بعيد مثل النقود، تجريدا لتجارب حقيقية يجري تبادلها خلال التواصل الإنساني دون أن تعاش كإحالة إلى تجارب ملموسة"[17]، أي أنّ الناس لم يعودوا يشتركون في الشعور بالدلالة الحقيقية للكلمات التي يتواصلون بها في ما بينهم، ولعلنا نوضح المعنى المراد أكثر من خلال مثال بسيط وغاية في الحصول في حياتنا اليومية، فقد يسأل أحدنا شخصا حزينا:" كيف حالك؟"، فيجيب الأخر بكل تلقائية:" أنا بخير"، فجوابه هنا لا يعبر عن حاله حقيقة وإنّما يؤكد تداولية العبارة، وبالتالي فلغة التواصل هذه لم تعبر عن تجربة اللحظة، ولم يشترك طرفا التواصل في نفس الحقيقة على الإطلاق، بل كان تواصلا من أجل التواصل فقط، إنّه تواصل مجرد، يقول فروم" يتبادل الناس الكلمات دون أن يتشاركوا أية

حقيقة يتحدثون عنها، إنّهم يتبادلون الكلمات في ارتباك معين، لتغطية الفراغ الموجود في تواصلهم، ولا يشعرون بالتحفيز بعد الكلام، لا يشعرون أنّهم قد تشاركوا شيئا ما"[18].

- اغتراب الشعور: إذا كان إيريك فروم يرى أن اغتراب اللغة تغطية للفراغ في التواصل مع الأخر، فإنّه لا ينفي ذلك الفراغ في تواصل الإنسان مع مشاعره أيضا، فالإنسان يتواصل مع الروتين الاجتماعي فقط من خلال علاقته بالقطاع الاقتصادي الذي أوجده بنفسه، لكنه لا يتواصل مع مشاعره الحقيقية، يقول فروم: " وبدلا من أن نكون على تواصل مع الحب، مع الكره، مع الخوف، مع الشك، مع كل التجارب الأساسية للبشرية، نحن جميعا أكثر انفصالا، نحن مرتبطون بالتجريد الذي يعني أن تقول إننا غير مرتبطين على الإطلاق، فنحن نعيش في خواء ونملأ هذا الخواء، نجسر الهوة بالكلمات بإشارات تجريد للقيم، بالروتين الذي يساعدنا على التخلص من إحراجنا"[19]. غير أنّ الواقع لا يخلو من أناس عاطفيين، ومع ذلك فإنّ إيريك فروم لا يستثنيهم من دائرة الاغتراب، لأن الإنسان العاطفي، أو ذلك المتعاطف مع موقف محزن، أو الذي تجده يبكي حينما يحضر مشهدا سينمائيا مؤثرا، فهو في الحقيقة يملك المشاعر، لكنها مشاعر راكدة، والمواقف التي تصادفها هي بمثابة منبهات ومنافذ لخروج تلك العاطفة، يقول فروم" ليس معنى أن أبكي لأني مرتبط حقا بالحزن، بل لأني لست منفصلا تماما، أعيش في خواء لكن المشاعر الموجودة داخلي تحتاج منفذا ما، ولهذا أنا أبكي عندما تتاح فرصة البكاء دون أن أكون حقا مرتبطا بأي شيء واعتقد أنّ ذلك هو جوهر العاطفية التي يمكن ملاحظتها بكثرة في الثقافة العصرية"[20].

- اغتراب الحب: حيث فقد بُعده الروحي والجمالي في أفق النظام العملي الآلي واتخذ طابعا آليا، ولم يعد الدافع لدى الإنسان المعاصر هو الحب كحاجة إنسانية بقدر ما هي الأنانية في الامتلاك والمصلحة في الطرف الآخر، ودليل هذا الاغتراب هو قياس درجة الحب بالقيمة المادية، حتى التعبير عن الغيرة بين المحبين في زمن الكسب ما هو إلا انعكاس لقيم التنافسية، يقول فروم: " في ثقافة يسودها اتجاه السوق، ويعد النجاح المادي فيها هو القيمة البارزة، فإنّه لن يوجد ما يدعو إلى الدهشة عندما تهتدي علاقات الحب الإنسانية بأنموذج المقايضة نفسه الذي يحكم السلعة وسوق العمل"[21].

- اغتراب الفكر: حيث يعتبر اغتراب العقل مماثل تماما لاغتراب القلب، فغالبا ما يعتقد الإنسان المعاصر أن أفكاره وآراءه هي نتيجة لنشاطه الفكري، بينما في الحقيقة تبناها من مصادر خارج فكره وذاته، وهو يعتقد أنّهم يعبرون عن أفكاره، بينما في الحقيقة قد أسقط قدرته على التفكير وتشكيل رأيه على أوثانه المتمثلة في الرأي العام أو الصحافة أو الحكومة أو حتى القادة السياسيين، أي أنّه أصبح في النهاية عبدا تابعا لهم لأنه قدسهم واستقال هو عن قدرته في التفكير، كما يتمظهر أيضا في امتثال الإنسان للسلطة السياسية، من خلال إسقاط الأحاسيس الاجتماعية على الدولة، ذلك أنّ الإنسان العاجز والمحبط أمام أنانيته، يسقط أحاسيس القوة والحكمة والإيثار التي يمتلكها على القادة السياسيين، ويقدسهم بعدها كأصنام[22]، ومن نفس وجهة النظر السيكولوجية يفسر فروم ذلك، بكون الإنسان في المجتمع البيروقراطي الصناعي إنسان جبان وخائف، والدّليل انبهاره بنماذج وشخصيات يعتقد بقوتها بدل إثبات ذاته وقدراته وقوته العقلية، وانبهاره أمام الآلات التقنية بدل الانبهار بالموجودات الحية والصيرورات الحيوية، وشعوره بالسعادة وقت صناعة الصواريخ والسلاح النووي، أكثر من شعوره بالحزن لأنها خطر على الحياة، وسنأتي للتفصيل في مسألة خوف الإنسان المعاصر.

- اغتراب الأمل:" الذي يتحول فيه المستقبل إلى معبود"[23]، أي عندما يؤله التاريخ، فيفهم على أنّ التاريخ هو من يصنع الإنسان، وليس العكس، يقول فروم " وانّ كل أشكال الاكتئاب والتبعية والعبادة الوثنية ليست تعبيرا مباشرا عن الاغتراب، أو تعويضات له فحسب، بل إنّ من نتائج الاغتراب أيضا العجز عن أن يعرف الإنسان هويته"[24].

2. من الحريّة إلى الخوف والهروب منها

1.2 الخطيئة الأولى للإنسان الحر والتهيئة السيكولوجية للخوف:

نبدأ هنا بقول فروم" إنّ الوجود الإنساني والحرية هما منذ البداية غير منفصلين"[25]، إلا أنّ علاقة الإنسان بالحرية قد تسلك منحيين مختلفين: " الحرية من" و" الحرية لـ"، ويستند هذا الطرح على ما جاء في أسطورة طرد الإنسان من الجنة، ذلك" أنّ الأسطورة تقيم توحيدا بين بداية التاريخ الإنساني وفعل الاختيار، لكنّها تضع كل التأكيد على خطيئة هذا الفعل الأول للحرية والمعاناة المترتبة عليه"[26]، فخطيئة الإنسان المتمثلة في عصيانه أمر الله والأكل من الشجرة، والتي كلفته خروجه من الفردوس، هي بداية الفعل الأول للحرية، لكنها في المقابل هي

بداية المعاناة الناجمة عن فعل الحرية ذاك،" إنّ الإنسان وهو يتجاوز الطبيعة، وهو مغترب عن الطبيعة والبشر الآخرين، يجد نفسه عاريا، خجلان. إنّه وحيد وحر ومع هذا عاجز وخائف، والحرية المكتسبة الجديدة تبدو كلعنة، إنّه حر من القيد الحلو للفردوس، لكنه ليس حرا لكي يتحكم في نفسه ويحقق فرديته"[27]، في هذه الحالة يصبح وضع الإنسان هو منبع القلق بالنسبة إليه، فكلما سعت خطاه نحو الفردانية، كلما زاد شعوره بالقلق لتقلص خياراته حيال وضعه القائم، ذلك أنه بعد أن تخل عن روابطه الأولى – الفردوس- لم يبق له إلا خيار واحد هو: التوحد الفعال مع العالم؛ لكن ارتباطه هذه المرة لن يكون آمنا على نحو ما كان ارتباطه بروابطه الأولية، وإنّما بما هو فرد حر مستقل، حيث لا بدّ من توفر شرط أساسي يضمن عملية تطور الفردانية، وهو شرط التناغم، القائم على سير التطور نحو القوة والتطور نحو الاصطباغ بالصبغة الفردية في توازٍ تام، بتعبير أخر لابد من توفر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تصاحب عملية السعي نحو تحقيق الفردانية وتمكن من التحقيق الإيجابي للحرية؛ فحينما لا تتوفر تلك الإمكانات في وقت فقد فيه الإنسان الروابط التي تمنحه الأمان، تصبح الحرية عبئا ثقيلا عليه، وهنا ينشأ خوفه من الحرية، وبالتالي نزوعه للهرب من هذا النوع من الحرية[28].

إنّ الحرية التي أوجدتها الرأسمالية للإنسان الحديث هي عملة لوجهين، يتجليان في تلك الصورة المغتربة التي يعيشها الإنسان، بين انفصام عراه الروحية وأبعاده الإنسانية من جهة، وانتماءه طوعا وكراهة للعالم الاقتصادي المادي، أين انتهى به المطاف فردا معزولا فاقدا للأمان بسبب حريته، وخائفا منها، ليس بموجب مقتضيات الساحة الاقتصادية التي تهدد مصيره فحسب، وإنما تنامى شعوره بالعجز الفردي في ظل التطور التكنولوجي كذلك، وبموجب متغيرات الساحة السياسية والاجتماعية خاصة أمام تهديدات الحروب، خصوصا وأّن الفترة شهدت الحرب العالمية الثانية بالإضافة إلى بروز النازية والأنظمة الشمولية، وعليه فبالرغم من الرفاهية والتطور الذي بلغه المجتمع الصناعي الرأسمالي، إلا أنّه بقي عاجزا تماما أمام رهانات تحقيق حرية ورفاهية الفرد، بل وعاجزا عن تقديم حلول كفيلة باحتواء عجز وخوف أفراده،" فالوحدة والخوف والوحشة تظل، والناس لا يعودون يطيقونها إلى الأبد، إنّهم لا يستطيعون أن يواصلوا تحمل "عبء التحرر من"، يجب أن يحاولوا أن يهربوا من الحرية كلها ما لم يتمكنوا من التقدم من الحرية السلبية إلى الحرية الإيجابية"[29].

إذا كان الإنسان قد فقد ارتباطه الآمن بتحرره من بناه الروحية من جهة، وفقد ضمانات تحقيق الحرية الفردية من جهة أخرى، وفي نفس وقت أصبح الهروب ضرورة ملحة، فأي صيغة سيكون عليها هذا الهروب؟ يقول فروم" إننا في جهدنا للهرب من الوحدة والعجز مستعدون لنتخلص من نفسنا الفردية: إّما بالخضوع لأشكال جديدة من السلطة أو بالتطابق الاضطراري مع نماذج متقلبة"[30]، وهو يقصد أن سلوك الإنسان حيال خوفه من الحرية سيتخذ منحيين: إما التطابق الاضطراري مع الوضع القائم في الديناميكية الديموقراطية المعاصرة، أو الخضوع لزعيم كما في الدول الفاشية.

2.2 ميكانيزمات الهروب من الحرية:

يشير فروم إلى وجود ميكانيزمات ذات طابع حضاري وسيكولوجي مرضي للهروب من الحرية، توسل بها الإنسان الحديث في سلوكه حيال أزمة حريته، تتمثل فيما يلي:

-النزعة التسلطية: ما تقتضيه هذه الميكانيزما في سبيل الهروب من الحرية، أن يتخلى الفرد نهائيا عن استقلاليته في شكلها القائم، ليدمج نفسه في شخص أخر خارج ذاته للحصول على القوة المفقودة، أو ما يفسره فروم بإعادة ربط النفس بـ "روابط ثانوية" تأتي كبديل عن الروابط الأولية التي فقدها سابقا، وإعادة الارتباط هذه تأخذ معنى الرغبة في الخضوع والهيمنة، أو ما يعبر عنه فروم بالرّغبات المازوخية Masochisme[31]، والسادية Sadisime[32]، بوصفهما الجانبين الأكثر تعبيرا عن النزعة التسلطية للهرب من حرية لم يعد لها طاقة للاحتمال لدى الإنسان الحديث، فالرغبات المازوخية بما هي ميل الإنسان للانتماء إلى القوى الخارجة عن نفسه، أيًا كانت تلك القوى، إنّما تمثل السطح المحدّب لمشاعر الدونية والعجز واللاجدوى الفردية، الدفينة في نفوس الضعفاء والعاجزين عن استشعار كينونتهم الذاتية، فهم يوارون عجزهم عن تحقيق إرادتهم الذاتية، خلف تلك التبعية اللاعقلانية للقوى الخارجية والأنظمة التسلطية، ولكن بتبريرات عقلانية، يقول فروم" غالبا ما تستشعر الميول المازوخية على أنّها مرضية أو لا عقلانية بشكل واضح، والأكثر تكرار أنّ هذه الميول تفسر عقلانيا بمبررات، ويجري تصور التبعية المازوخية على أنّها الحب والإخلاص، والمشاعر الدونية على أنّها تعبير دقيق عن القصور الفعلي، ومعاناة الإنسان على أنّها ترجع تماما إلى ظروف لا تتغير"[33].

أما بالنسبة للميول السادية بوصفها ميل للسيطرة والهيمنة على الأخر، فهي عكس المازوخية في كونها تتواجد في النوع نفسه من الأشخاص، وتتباين في القوة، وكذلك في كونها مدرَكة بشكل أو بآخر، وقد ميز إيريك فروم بين ثلاث أشكال لتمظهرها:

الشكل الأول: إخضاع الشخص الأخر إلى أقصى درجات الخضوع للمتسلط، وهيمنة هذا الأخير عليه حتى يتحول إلى مجرد آلة بيده.

الشكل الثاني: لا يكون دافعا للسيطرة على الآخر، كما هو في شكلها السابق، وإنّما لاستغلاله والاستحواذ عليه واستنزاف طاقاته، سواء تعلق الأمر بالمادية منها أو الروحية كالعاطفة والذهنية، والاستمتاع بذلك.

الشكل الثالث: هو الرغبة في جعل الآخر يعاني من أجل التلذذ برؤيته وهو يعاني ويتألم ويتعذب، وفي الغالب ما تكون معاناة ذهنية، الهدف منها إيذاء الآخر تماماً وإذلاله، كما يمكن أن تكون المعاناة جسمانية.

يرى فروم أنّ التبريرات في النزعة السادية هي أقل عقلانية مما هي عليه في النزعة المازوخية، فالأشخاص الساديون يقدمون تبريرات مفرطة، مثلا فرض القرارات بدون أي اعتراض بحجة أنّ المهيمن يعرف أكثر من غيره وانه أدرى بمصلحة الكل، أو يبرر مقابلة الأذى بمثله بحجة الدفاع عن النفس، وهذا يشير إلى كون أشكال السادية في مجملها لا تطمح إلى مجرد إذلال الآخرين وإشعارهم بالألم فقط، وإنّما تتجاوز متعة رؤيتهم يعانون إلى: لذة الشعور بالسيادة التامة عليهم، يقول فروم" إنّ كل الأشكال المختلفة للسادية التي يمكننا أن نلاحظها ترتد إلى دافع أساسي واحد ألا وهو الحصول على السيادة كاملة على الشخص الأخر وجعله موضوعا عاجزا لإرادتنا ...، إنّ إذلاله واستبعاده هما وسيلتان لهذه الغاية والهدف الأقصى هو جعله يعاني حيث أنّه لا توجد قوة على شخص آخر أقوى من بث الألم فيه لإرغامه على المعاناة دون أن يكون قادرا على الدفاع عن نفسه، إنّ اللذة في الهيمنة الكاملة على شخص آخر هي الماهية الخالصة للنزعة السادية"[34].

تجتمع كل من السادية والمازوخية من خلال ما أسماه فروم بالتكافل، على أساس مفاده؛ أن عدم القدرة على احتمال الفردية يدفع إلى الدخول في علاقة تكافلية مع شخص أخر، من أجل تجاوز الفردانية والحرية المقلقة لكليهما، وهو ما يتم من خلال الحصول على

اللذة والمتعة عن طريق الألم. فإذا كان السادي يجد لذته في إيقاع الألم على الأخر، فإنّ المازوخي يجدها حين وقوع الألم عليه من طرف الأخر، يقول فروم" واضح من هذا لماذا يمتزج الميلان المازوخي والسادي معا على نحو دائم، وبالرغم من أنّهما يبدوان على السطح متناقضين، فإنّهما في الجوهر كامنان من الحاجة الرئيسية نفسها. ليس الناس ساديين أو مازوخيين، بل هناك تذبذب دائم بين الجانب الإيجابي والجانب السلبي للمركب التكافلي حتى أنّه يصعب في الغالب تحديد أي جانب منه هو الذي يعمل في لحظة معينة. في كلا الحالين تضيع الفردية والحرية"[35]، أي أنّ تحصيل الأمان قد يتم بالتبعية لشخص أخر كما قد يتم بالسيادة عليه، وهذا ما يثبت جوهرية البعد التسلطي كآلية للهروب من الفردية، فإعجاب وخضوع الشخص المازوخي –السادي إلى السلطة، يتزامن مع كونه هو نفسه سلطة يخضع لها آخرون.

إنّ ما يهم من تحليل مفهومي السادية والمازوخية، هو فهم سيكولوجيا السلوك الاجتماعي والنفسي والسياسي للمجتمع المعاصر، فالخصائص السادو- مازوخية لا تقتصر على الأفراد فقط وإنما قد يصطبغ المجتمع بكليته بهذه الميول، حيث يؤكد فروم أن نمط الشخصية السادو-مازوخية هو النمط السائد في ألمانيا في تلك الفترة، خاصة وأنّ الشخصية التسلطية هي الأساس الإنساني الذي قامت عليه الفاشية نظاما تسلطيا في بنائه السياسي الاجتماعي[36]، من هذا المعنى يأتي فروم على تحليل سيكولوجيا النازية كأبرز نظام تسلطي شهده عصره، من خلال تحليل جانبين: بحث في التكوين الشخصي للناس الذين توجهت إليهم النازية، وبحث في سيكولوجية الأيديولوجيا التي جعلت من النازية أداة فعالة بالنسبة لهؤلاء الناس.

إنّ التفسير السيكولوجي الذي يمكن تقديمه لولاء الناس وخضوعهم للنازية، يرجعه فروم إلى حالة اليأس والسام التي فرضتها متغيرات تلك الفترة على معظم الدول الديمقراطية، وبالنسبة لألمانيا فمعظم الموالين للنازية فيها هم من الطبقة العاملة، التي تميزت سيكولوجيتها بنوع من السأم الحاد، والاستسلام العميق وعدم الثقة، نتيجة لتوالي هزائمها في تحقيق نهضتها على وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي القائم، كما أثر وصول أودولف هتلر إلى الحكم على معظم سكان ألمانيا، لدرجة المطابقة بين هتلر وألمانيا، وبالتالي فإنّ أي معارضة أو انتقاد للحزب النازي يصبح معارضة لألمانيا، ما يشكل تهديدا للفرد بالخروج عن الجماعة التي ينتمي إليها وإحساسه بالخوف والعزلة نتيجة لذلك، وبالتالي فولاءه للنازية هو سلوك مازوخي، من أجل قهر الخوف والعزلة المتوقعين، في مقابل السادية التي مكنت النازية كقوة تسلطية من

الاستفادة من مشاعر الخوف من العزلة والضعف، يوضح فروم قائلاً" لقد كانت الأيديولوجيا النازية بالنسبة لهم تمثل نداء عاطفيا هائلا، وهذا النداء هو الذي جذبهم وجعلهم مؤمنين أشداء ومقاتلين من أجل القضية النازية"[37].

- النزعة التدميرية: وهي المكانيزم الثاني للهروب من حالة العجز والخوف واللاجدوى، فالنزعة التدميرية بما هي حالة سيكولوجية، إنّما مدفوعة بمشاعر: الخوف والعجز، هذه الأخيرة التي تنجح غالبا في توفير موضوعات للسلوك التدميري لدى الفرد، مهما كان السبب ومهما كانت الموضوعات، فحتى لو فقد الفرد الأشخاصَ الآخرين كمواضيع لنزعته التدميرية، فإنّه ينزع لتدمير نفسه بنفسه، فتكون نتيجة ذلك: إمّا المرض الجسماني أو الانتحار[38] .

- امتثال الإنسان الآلي: يعتبره فروم المكانيزم الأكثر أهمية من حيث الجانب السوسيولوجي، ومعناه أن يستبدل الإنسان نفسه بنفس زائفة، بناء على استحسان الأخرين له، فهو بذلك لا يثبت كينونته الأصلية لذاته، وإنّما يعيش كينونة زائفة عبر التطابق مع ذاتية خارجية، فيتماثل في ذلك بالآلة من حيث تطابق سلوكه بعمل الكثير من الآلات؛ أو كما يقول فروم" إنّ الفرد يكفّ عن أن يصبح نفسه؛ إنّه يعتنق تماما نوع الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية، ولهذا فإنّه يصبح تماما شأن الأخرين وكما يتوقعون منه أن يكون، إنّ الهوة بين "الأنا" والعالم الخارجي تختفي ويختفي معها الخوف الشعوري بالوحدة والعجز" [39] ، فالصحيح أنّه يقضي على شعور الوحدة والعجز، لكنه مقابل ذلك سيفقد نفسه، ومنه سيكون مستعدا للخضوع المستمر لسلطات أخرى كلما استمر لديه شعور العزلة واللا-أمان، ولعل سلطة الآلة والمعطى المادي في النظام الاقتصادي الرأسمالي الحديث أبلغ صورة عن امتثال الإنسان وتطابقه الآلي المفضي لفقدانه المستمر لذاته لا محالة.

خاتمة:

لقد نجح النظام الرأسمالي في تشكيل الاعتقاد لدى الإنسان المعاصر بأنّ امتلاكه للمال وبعض الحاجيات يعادل امتلاكه لكل شيء بما في ذلك سعادته، والحال أنّ ذلك ما هو إلا وعيه الزائف، لانّ مزاولة الحياة بين محوري: الامتلاك والاستهلاك، التي تقوم عليها الرأسمالية، لم تؤسس لسعادة الإنسان بقدر ما رهنت حياته في المال، وهذا الأخير لم يقدم الوفرة والرفاهية، بقدر ما أدى وظيفة اغترابية، من خلال ربط كل حيثيات الحياة بما فيها قيمة الإنسان به، وهذا يعني أنّ المال شكل الوثن في المجتمع الرأسمالي، ومنه فإن التفسير

السيكولوجي الذي قدمه ايريك فروم للسلوك الإنساني داخل نسق: (الامتلاك ↔ المال ↔ الاستهلاك)، هو أنّ الإنسان لا يقرّبالقيمة ولا السعادة خارج هذا النسق، وأنّه عاجز عن إثبات نفسه وخلق سعادته خارجه، وبالتالي فهو مستلب سواء كان ذلك بوعي منه أو بدون وعي.

أدّى تعدد الأوثان المادية التي وضعتها الرأسمالية إلى تعدد أشكال الاغتراب في حياة الإنسان، والأكثر جلاء هو اغتراب العمل، حيث أصبح الإنسان جزءا من العمل والآلة التي يعمل بها، ويفسّر ايريك فروم سيكولوجية الإنسان الذي يمتثل آليا ويتطابق مع الآلة والعمل ونتائج العمل، بأنّه يقدس الآلة ويلغي نفسه لأنه عاجز عن الشعور بقيمة نفسه وخائف، وبالتالي فاندماجه بتلك الطريقة واعتماده على الآلة يشعره بنوع من الأمان المفتقد له.

يفسّر فروم اعتماد النّاس في المجتمع الصناعي على اللّغة التجريدية في التواصل مع الآخرين، بأنّه تغطية لفراغ معين في شعورهم وذواتهم، واللّجوء لاستعمال الكلمات دون الإحساس الفعلي بمدلولاتها، هو في الحقيقة ملء لخواء الشعور بمجرد كلمات، حتى الحب في منطق الماديات والتجريد والمقايضة، ليس حبا بمفهومه الإنساني إنّما هو حسب فروم رغبة في الامتلاك والمصلحة في الأخر ليس إلاّ.

فسّر فروم كذلك امتثال الإنسان للآراء السياسية والرّأي العام على حساب أفكاره هو، بأنه اغتراب الفكر، وذلك بأن أسقط قدرته على التفكير والإحساس والقوة والحكمة على الدّولة أو القادة السياسيين أو غيرهم، والدّلالة السيكولوجية لذلك هي أنّه عاجز ومُحبط، والحال نفسه حينما يستمد أمله من التاريخ على حساب الأمل في الحاضر والمستقبل، فإنّ ذلك حسب فروم يدلّ على عجزه عن معرفة هويته الحقيقية.

إنّ الحرية التي أوجدتها الرأسمالية للإنسان الحديث تسلك منحيين مختلفين:" الحرية من" و" الحرية لـ"، فإذا كان حرّا من القيود الدينية وثقافة العصور الوسطى، فإنه ليس حرّا لكي يحقق فرديته، أي أنّ الرأسمالية لم توفر الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تصاحب عملية السعي نحو تحقيق الفردانية وتُمكّن من التحقيق الإيجابي للحرية، وحينما لم تتوفر تلك الإمكانات في الوقت الذي فقد فيه الإنسان الروابط التي تمنحه الأمان، أصبحت الحرية عبئا ثقيلا عليه، وأصبح خائفا منها، ويعمل على الهروب منها باستمرار، إمّا عن طريق التطابق الاضطراري مع الديناميكية الديمقراطية المعاصرة، أو الخضوع لزعيم كما في الدوّل الفاشية.

إنّ التفسير السيكولوجي الذي قدمه فروم لولاء الناس وخضوعهم للأنظمة السياسية الجائرة، بأنّه سلوك مازوخيّ، من أجل قهر الخوف والعزلة المتوقعين في حالة الخروج عن الجماعة التي ينتمي إليها، في مقابل السّلوك السّادي الذي مكّن القوة التسلطية من الاستفادة من مشاعر الخوف من العزلة والضعف، كما فعلته النازية.

إنّ الحرية بالنسبة لإنسان المجتمع الرأسمالي، ليست عبارة عن قيد جديد فحسب، بل ترتب عنها اضطراب الإنسان وخوفه منها، وحتى محاولاته لتجاوز المأزق اتخذت طابعا سلبيا، إمّا التخلص من الذّات الفردية، أو التسلط على الذّات أو الأخر، وإمّا تدمير للذّات أو تدمير للأخر، وإمّا الامتثال آليا لكل ما هو خارج عن الذّات وإلغاؤها، وفي المجمل يمكن القول أنّ تغييب القيّم الإنسانية لصالح العقلانية المادية هو المكافئ الأدقّ لخلق مجتمع مريض.

- الإحالة والتهميش:

1-إيريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، 1998.ص64.

2-إيريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، الهيئة لعامة السورية للنشر، دمشق، الطبعة الأولى، 2009.ص 233.

3-المصدر السابق، نفس الصفحة.

4-المصدر السابق، ص 234.

5- إيريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ص64.

6- المعنى الحرفي في التحليل النفسي هو الانتقال أو التحويل transference: وتعني إجمالا التوقعات والمعتقدات والاستجابات العاطفية التي تتكون لدى المريض حول علاقته بالطبيب المعالج، وتمثل العلاقة بين هذا الشخص والسلطة في حياته من حيث تأثير أقوال وأفعال الطبيب عليه أثناء العلاج، والجانب المقابل هو رد فعل الطبيب نحو المريض ويطلق عليه " التحول المقابل" Counter transference.؛ لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، 2004، ص193.

7-إيريك فروم، ما وراء الأوهام، ص58.

8- المصدر نفسه، ص64.

9-إيريك فروم، الإنسان المستلب، ترجمة حميد لشهب، شركة ندا كوم للطباعة والنشر، المغرب، ط1، 2003.ص108.

10-إيريك فروم، المجتمع السوي، ص244.

11- إيريك فروم، الصحة النفسية للمجتمع المعاصر- مساهمة في علوم الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2013.ص 55.

12-إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 109.

13- إيريك فروم، الصحة النفسية للمجتمع المعاصر- مساهمة في علوم الإنسان، ص51.

14- المصدر السابق، ص 56.

15- المصدر نفسه، ص51.

16- ايريك فروم، المجتمع السوي. ص 250

17- إيريك فروم، الصحة النفسية للمجتمع المعاصر- مساهمة في علوم الإنسان، ص 57.

18- المصدر السابق، نفس الصفحة.

19- المصدر نفسه، ص 77-78.

20- المصدر نفسه، ص 78.

21-إيريك فروم، فن الحب-بحث في طبيعة الحب وأشكاله-، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، ط1، 2000، ص13.

22- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص110.

23- إيريك فروم، ما وراء الأوهام، ص60.

24- المصدر نفسه، ص 61.

25- المصدر نفسه، ص33.

26- المصدر نفسه، ص34.

27- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

28- إيريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1972، ص 36-37.

29-المصدر نفسه، ص 111.

30- المصدر نفسه، نفس الصفحة.

31 - المازوخية Masochism: هي اضطراب نفسي يقابل الاضطراب السادي من حيث هو رغبة للخضوع لعدوانية السادي. وقد اشتقت الكلمة من أسم كاتب نمساوي يدعى ليوبولد زاخر مازوخ Lepold Zacher Masoch(1836-1895) واشتهر بتأليف رواية" فينوس في الفراء ".

32- السادية Sadisim: هي الميل للحصول على اللّذّة والمتعة عن طريق تعذيب الآخر والتلذذ بعذابه، وهي من الناحية السيكولوجية اضطراب في الرغبة الجنسية يتضمن معاناة نفسية وجسدية وفكرية. وقد اشتقت الكلمة من اسم ضابط وروائي فرنسي يدعى ماركيز دو ساد (1740-1814) Marquis de Sade.، الذي اشتهر بسلوكه العدواني واضطراب سلوكه الجنسي وساديته ولذلك سمي الاضطراب الجنسي باسمه.

33- إيريك فروم، الخوف من الحرية، ص119.
34- المصدر نفسه، ص 128-129.
35- المصدر نفسه، ص130.
36- المصدر نفسه، ص 136.
37- المصدر نفسه، ص 170.
38-المصدر نفسه، ص 146.
39- المصدر نفسه، ص 150.

- قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- إيريك فروم، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سورية، 1998.
- إيريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، الهيئة لعامة السورية للنشر، دمشق، 2009.
- إيريك فروم، ما وراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار للنشر، سوريا 1994.
- إيريك فروم، فن الحب- بحث في طبيعة الحب وأشكاله-، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار العودة، بيروت، 2000.
- إيريك فروم، الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، شركة ندا كوم للطباعة والنشر، المغرب، 2003.
- إيريك فروم، الصحة النفسية للمجتمع المعاصر- مساهمة في علوم الإنسان، ترجمة محمد حبيب، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا 2013.
- إيريك فروم، الخوف من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1972.

ثانيا: المراجع:

- لطفي الشربيني، معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تعريب العلوم الصحية، الكويت،2004.

- رومنة المصادر والمراجع العربية:

1. Īrīk frwm, Mafhūm al-insān ‘inda Mārks, tarjamat Muḥammad Sayyid Raṣṣāṣ, Dār al-Ḥaṣād lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Sūrīyah, Ṭ1, 1998.
2. Īrīk frwm, al-mujtama‘ al-sawī, tarjamat Maḥmūd Munqidh al-Hāshimī, al-Hay’ah li-‘āmmat al-Sūrīyah lil-Nashr, Dimashq, Ṭ1, 2009.
3. Īrīk frwm, mā warā’ al-awhām, tarjamat Ṣalāḥ Ḥātim, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr, Sūriyā, Ṭ1, 1994.
4. Īrīk frwm, al-insān almstlb, tarjamat Ḥamīd Lashhab, Sharikat Nadā Kūm lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, al-Maghrib, Ṭ1, 2003.
5. Īrīk frwm, al-Ṣiḥḥah al-nafsīyah lil-mujtama‘ alm‘āṣr-musāhamah fī ‘ulūm al-insān, tarjamat Muḥammad Ḥabīb, Dār al-Ḥiwār lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, Sūriyā, Ṭ1
6. Īrīk frwm, Fann alḥb-bḥth fī ṭabī‘at al-ḥubb w’shkālh-, tarjamat Mujāhid ‘Abd al-Mun‘im Mujāhid, Dār al-‘Awdah, Bayrūt, Ṭ1, 2000.
7. Īrīk frwm, al-khawf min al-ḥurrīyah, tarjamat Mujāhid ‘Abd al-Mun‘im Mujāhid, al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Bayrūt, Ṭ1, 1972.

al-Marāji‘:

1. Luṭfī al-Shirbīnī, Mu‘jam muṣṭalaḥāt al-ṭibb al-nafsī, Markaz ta‘rīb al-‘Ulūm al-ṣiḥḥīyah, al-Kuwayt, 2004.